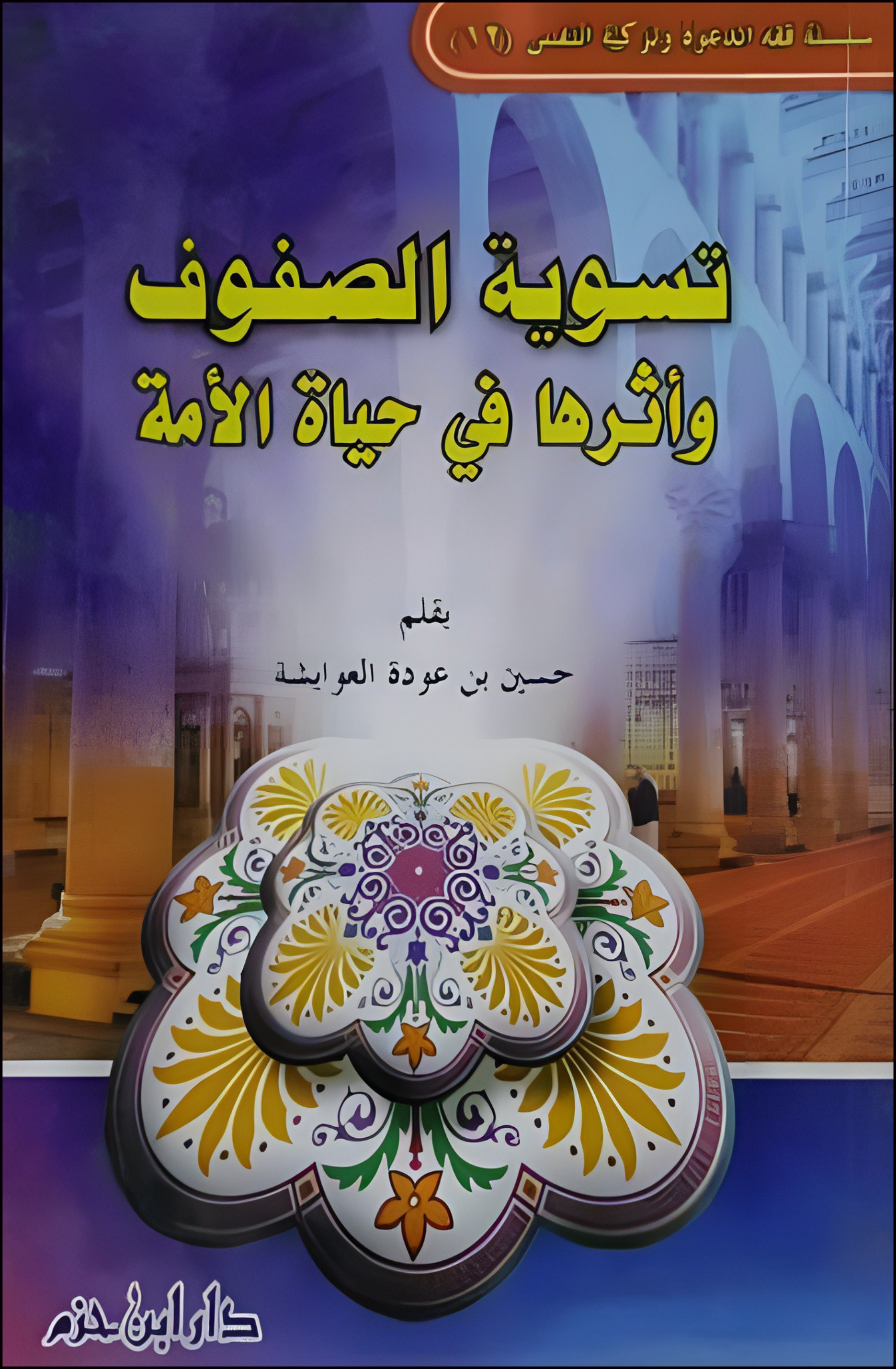

تسوية الصفوف
وأثرها في حياة الأمة
بقلم
حسين بن عودة العوايشة
دار ابن حزم

سلسلة فقه الدعوة وتزكية النفس (١٢)

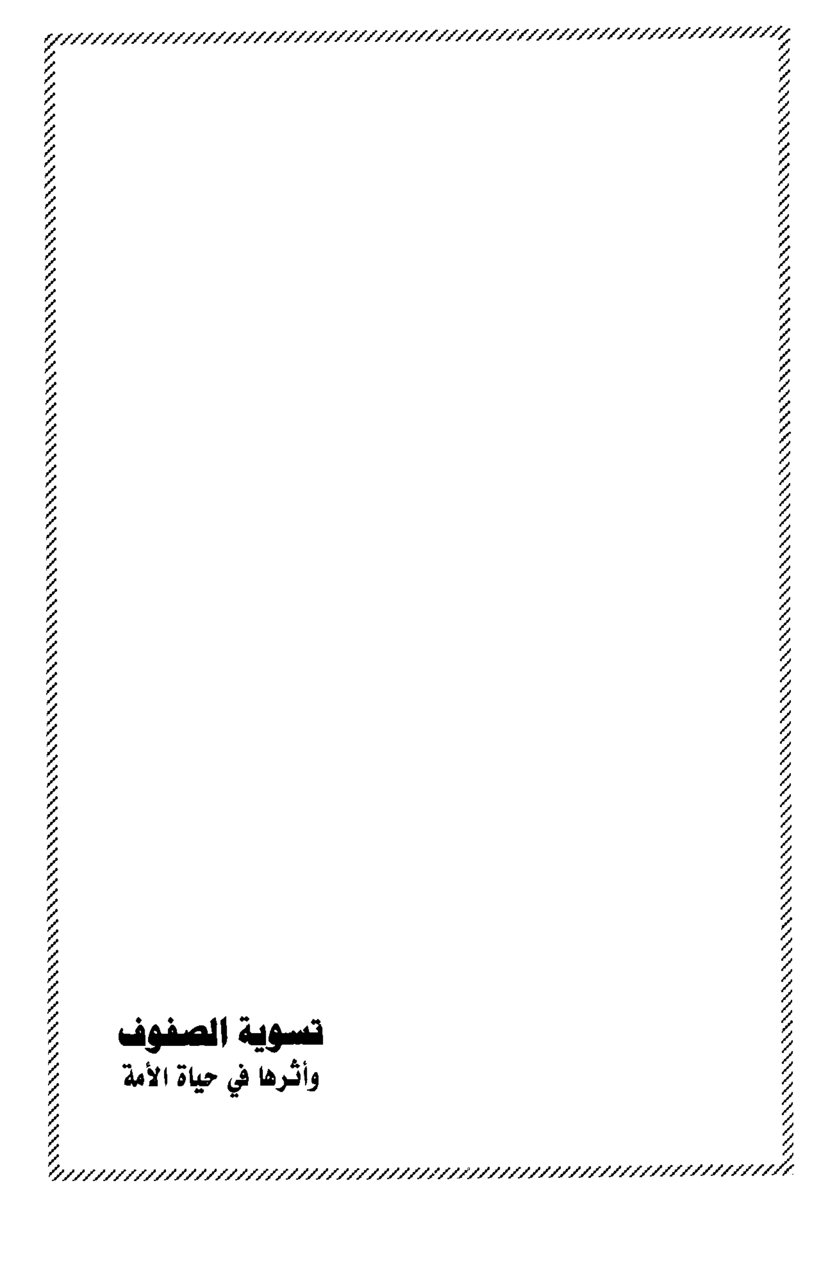
تسوية الصفوف
وأثرها في حياة الأمة

بقلم

حسين بن عودة العوايشة

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم



تسوية الصفوف

وأثرها في حياة الأمة

الطبعة الأولى للطبعة الجديدة

١٤٢٣ هـ

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

المقـدّمـة

إنَّ الحمْدَ لله، نحمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أَنْفُسنا، وسيِّئات أعمالنا، من يَهدِهِ الله فَلا مُضلَّ لهُ، ومَن يُضْلل فلا هاديَ لهُ.

وأَشهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ.

﴿يا أيُّها الَّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه حقَّ تُقَاته ولاَ تَمُوتُنَّ إلا وَأَنتم مُسْلمُون﴾(١).

﴿يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم منْ نَفْسٍ وَاحدةٍ وَخَلَق منْها زَوْجَها وَبَثَّ منْهُمَا رجَالاً كَثيراً ونساء واتَّقُوا اللَّه الَّذي تساءَلُونَ به والأَرْحَامَ إنَّ اللَّه كَانَ عَلَيْكُم رَقيباً﴾(٢).

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

﴿يا أيُّهَا الَّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلح لَكُم أعْمَالكُمْ ويَغْفرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[1] .

أمَّا بعدُ :

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدْي هدْي محمّد ﷺ ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها ، وكلَّ مُحدثة بدعة ، وكلَّ بدعة ضلالة ، وكلَّ ضلالة في النَّار .

لا يلتفت الناس لتسوية الصفوف ، ولا يُبالون بذلك ، بل إنّهم يتشاءمون ممّن يفعله ؛ لما فيه من الإلصاق والمضايقة ، وإقلال الراحة ـ زعموا ـ ، ولأنّه من القشور لا اللُّباب ، ومن الفروع لا الأصول ، ولا داعي لِشَغْلِ المسلمين بأمور كهذه ؛ وهم يتعرّضون لهجَمات شرسة من الأعداء في الشرق والغرب !

إنّ تسوية الصفوف والحديث عنها ـ عند كثيرٍ من الناس ـ مضْيعة للوقت ، وسبب في الفُرقة والاختلاف ! !

ليست القضية عقلية مجرّدة ، بل إنها توقيفية ، وليس لنا

---

(١) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

من الأمر شيء أمام قول الله - تعالى - وقول رسوله ﷺ، وفي هذا يقول - الله سبحانه وتعالى -:

﴿فلا وربِّك لا يُؤمنون حتّى يُحكِّموكَ فيما شجَرَ بينَهم ثمّ لا يجدوا في أنفسِهِمْ حَرَجاً ممّا قضَيت ويُسلِّموا تسْليماً﴾[1].

وها نحن نختلف ونَشْتَجِرُ في أمور كثيرة، ومنها تسوية الصفوف، ولن نؤمن - كما أقسم الله تعالى - حتى نُحكِّم رسول الله ﷺ في هذه المسألة، بل وفي كل أمور ديننا، ثمّ لا نجدَ في أنفسنا حرجاً ممّا قضى لنا رسول الله ﷺ ونسلِّمَ تسليماً؛ من غير توظيف أدوات الاستدراك، وبلا تأفُّفٍ أو تضجُّر، أو تشغيل العبقريات المخزونة المزعومة؛ لأنّه لا مجال للعبقرية أمام النبوة، ولا اجتهاد في موارد النصوص.

فلنقرأْ ما ورد في تسوية الصفوف من النصوص، لنعلمَ إنْ كان الأمر لا يعدو أنْ يكون مُستحبّاً من المستحبات، أو واجباً من الواجبات؛ ترتبط به حياة الأمّة؛ حتّى نعلم كيف

---

(١) النساء: ٦٥.

نفعل في الحالتين، وماذا نتصرف في أيٍّ من الأمرين؟!

وهأنَذا أعرض النصوص التي عَلِمتها، مع ما منَّ الله ـ سبحانه ـ عليّ من الفهم فيها، والاستنباط منها، ذاكراً ما استطعتُ من أقوال أهل العلم والفضل في هذه المسألة.

والله ـ سبحانه ـ أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الأمّة، ويجعلني مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، إنّه على كل شيءٍ قدير.

وكتب:

حسين بن عودة العوايشة



الأمرُ بإِحسان تسوية الصفوف :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « أحْسنوا إِقامةَ الصفوف في الصلاة »[1] .

وكيف يكون إِحسان إِقامة الصفوف؟

يوضّحه حديث جابر بن سَمُرة ـ رضي الله عنه ـ قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : مالي أراكم رافعي أيديكم، كأنها أذناب خيل شُمُسٍ[2]، اسكنُوا في الصلاة، قال : ثمّ خرج علينا، فرآنا حِلَقاً، فقال : مالي أراكم عِزِينَ[3]؟! قال : ثمّ خرج علينا فقال : ألا تَصُفُّون كما تَصُفُّ الملائكة عند ربها؟ فقلنا : يا رسول الله وكيف تَصُفُّ الملائكة عند ربها؟ قال : يُتمّون الصفوف الأُول،

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده »، وصحّحه شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صحيح الترغيب والترهيب » (٤٩٩) .

(٢) [شُمس بضمّ الميم وسكونها] : جمع شَموس؛ وهو النَّفور من الدّوابّ؛ الذي لا يستقر لشَغَبه وحدَّته . « النهاية » .

(٣) جمع عِزَة؛ وهي الحلْقة المجتمعة من الناس . « النهاية » .

ويتراصّون[1] في الصف»[2].

فإِحسان الصفوف لا يكون ـ إذن ـ إلا بإِتمامها وتراصِّها.

ولننظر إلى واقع نعيشه، وهو افتخار جيوش الأرض بجُندها وقوتهم في عروضهم العسكرية؛ من خلال حُسْن الاصطفاف والترتيب، فلا ترى عِوَجاً ولا خَللاً، والمسافات منتظمة مُنسّقة، والمناظر باهرة، وترى الناظرين؛ وقد أُخِذَت ألبابهم، وأخذتهم الدهشة وأذهلتهم.

وأمّا المدارس؛ فلا تسأل عن الاهتمام البالغ في تسوية الصفوف فيها، وإقامتها وتنظيمها.

أليس أصحاب المساجد أولى الناس؛ أن يهتمّوا بإِقامة الصفوف، وجَوْدة تراصّها؛ كما تصف الملائكة عند ربها ـ سبحانه وتعالى ـ؟!

لن ندخل الجنة حتى نسوِّيَ الصفوف:

لقد أقسم رسول الله ﷺ أنّنا لن نؤمن، ولن ندخل الجنة

---

(١) يتراصّون: يَلْزَقُ بعضهم ببعض ويتضامّون؛ حتى لا يبقى بينهم فُرَج. «بذل المجهود» (٤/ ٣٢٨).

(٢) أخرجه مسلم: ٤٣٠.

حتى نتحابَّ في الله تعالى، وذلك لِما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده؛ لا تدخلوا[1] الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أولا أدلّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟! أفشوا السلام بينكم»[2].

وهذه المحبة لن تُيَسَّرَ بغير التراص وتسوية الصفوف؛ لأنّ النّبيّ ﷺ بيّن أنّ عدم إقامة الصفوف تؤدي إلى اختلاف القلوب.

والنتيجة الحتمية: أنّ الإيمان والجنة والمحبّة والألفة؛ كلٌّ أولئك لن يتيسّر إلا بتسوية الصفوف وتراصِّها.

اهتمامنا بالمظاهر في كل شيء إلا الطاعات، لا سيما مظهر تسوية الصفوف:

عجباً لنا كيف نهتمُّ بالمظاهر في كل شيء من دنيانا، ولا

---

(١) وردت «لا تدخلوا» في بعض الروايات؛ كما في «صحيح مسلم»، ووردت بثبوت النون: «لا تدخلون» في غيره؛ مثل «سنن ابن ماجه»، وحذف النون في حالة الرفع لغة معروفة من لغات العرب.

(٢) أخرجه مسلم: ٥٤.

نهتمُّ بالمظاهر التي يأمرنا بها ديننا؟! وما أراه إلاّ من الشيطان.

ولا أدري ما هم فاعلوه؛ لو جاءت نصوصٌ تحرّم رصَّ الصفوف وتسويتها؟! فلعلَّ شياطين الجنِّ والإنس تأتي لرصّها، رصّاً وتسوية لا ترى مثلها قط! هكذا ـ والله أعلم ـ وإلا فأين أشياء حرّمها الله تعالى في الكتاب أو السنة؛ لا تجدها شائعة محبوبة بين الناس؟!

انظر إلينا كيف نحبُّ المظاهر الدنيوية!

إنّنا نحبّ الغنيّ ولو كان جاهلاً، ونقدّم حبّه على الفقير ولو كان عالماً!

نصادق القوي، ونترك الضعيف!

قد يُنفق الإنسان الأموال الطائلة على أشياء تافهة؛ حتى يقال: فلان فعَل كذا وكذا!

قد يضحك علينا الجاهل بلباس حسن، ويخدعنا اللصُّ بكلام معسول، ويسحرنا المنافق ببيانه ولسانه!

هناك مظاهر للضيوف والزوّار لا نتخلّى عنها، والعاقّ الشاذّ مَنْ خالفَها!

فإذا كان القوم في مجلس ولم يقم لهم الرجل؛ أقاموا وأقعدوا المصائب؛ لأنّه لا يجلّهم ولا يقدّرهم، ولا يعرف الآداب الاجتماعيّة - زعموا -.

إذا قيل لهم: المصافحة من الأجنبية وممن يحلّ لهم زواجها حرام، قالوا: القلوب عفيفة ونقيّة وطاهرة، وليست العبرة بالمظاهر! وإذا جاء الفقير الذي يُرضى عن دينه وخلقه للزواج من ابنتهم؛ صارت العبرة بالظاهر، واستغنوا عن باطنه ونقائه وعفّته، والمهم أن يكون ذا مالٍ أو منصبٍ أو جاه.

وإذا طُلب منهم رصّ الصفوف وتسويتها؛ قالوا: العبرة بالباطن لا بالشكليّات! ولكنّ إيمانهم بالشكليّات يأتي حين يُتقدّم للزواج من بناتهم، فإنهم يُعقّدون الأمور، ويُغلّون المهور، ويجتهدون في الشروط، فاللباس مواصفاته كذا وكذا، وأمّا الأثاث فينبغي أن تكون أسعاره لها أجنحةٌ تطير، ولا بد من حفلة تسحر الألباب، لا بُدّ من أمورٍ نسبقُ بها الناس ولا نُسبَق!

فأين - بربكم - صلاح الباطن الذي آمنوا به حين حُدِّثوا برصّ الصفوف؟! وأين كفرهم بشكليّات تسويتها

وإِقامتها؟! أم أنه الهوى؟! فقاتَل الله الهوى.

سبحان ربك كيف يغلبك الهوى

سبحـانه إِنّ الهـوى لَغَلـوبُ

أهكذا الشأن معكم يا قوم! المظهر الذي يريده الله ويحبّه ويأمر به، ويتوعّد من يتركه بالويلات والمصائب؛ تتخذونه هزواً ولعباً؟!

والمظاهر التي لم يأذن بها الله ـ سبحانه ـ تتخذونها شريعة وديناً؟

أيَّ جريمةٍ اقترفتم؟ وأيَّ خطيئةٍ اجترحتم؟

لقد آمنّا بتسوية الصفوف إِيماناً عميقاً، غير أن هذا خارج المسجد، لا داخله، ألا ترى معي إِبداع التسوية في الجيش والمدرسة؟!

هنا يقال: إِنّها رمز القوة والنظام والطاعة والرقيّ! ولكنها في المسجد شكليات وقشور وتفاهات لا تُجدي ولا تفيد!

لإِنجاز معاملاتنا بسرعة في الدوائر والمؤسسات، ولتجنّب

المشاكل والاختلافات؛ لا بد من النظام والاصطفاف، أمّا أنْ نُحقّق هذا في المسجد؛ ليدرأ عنا الفُرقة والاختلاف فلا يسأل عنه، ناسين أو متجاهلين وعيد رسول الله ﷺ بهذا.

عدم تسوية الصفوف يؤدّي إلى اختلاف القلوب:

عن أبي مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «استووا[1] ولا تختلفوا؛ فتختلفَ قلوبكم»[2].

وقد جاءت الكلمة الأولى من الحديث: «استووا» في صيغة الأمر، والأمر يفيد الوجوب إلاّ لقرينةٍ تصرفه، والقرائن المؤكدة للوجوب كثيرة[3]، منها: الحديث السابق: «أحسِنوا إقامة الصفوف في الصلاة».

ومنها أيضاً ما تراه في نفس الحديث؛ وهو النهي عن الاختلاف، وهو قوله ﷺ: «ولا تختلفوا»، والنهي يفيد التحريم إلاّ لقرينةٍ تصرفه كذلك.

ولقد اجتمع الأمر والنهي معاً في هذا الحديث؛ فكان

---

(١) أي: اعتدلوا. «بذل المجهود» (٤/ ٣٢٦).

(٢) أخرجه مسلم: ٤٣٢.

(٣) وسأعقد لها باباً مستقلاً ـ إن شاء الله تعالى ـ.

كلّ منهما قرينة مؤكّدة للآخر.

لقد أمَر رسول الله ﷺ بتسوية الصفوف، وحذّر من عدم الائتمار بأمره، لأنّ ذلك يُفْضي للخلاف؛ كما في الحديث: «أقيموا[1] صفوفكم، فوالله لتقيمُنّ صفوفكم؛ أو ليخالفنّ الله بين قلوبكم»[2].

وفي رواية: «أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم»[3].

والفاء في: «تختلف» هي فاء السببية، فيكون معنى الحديث: الاختلاف في تسوية الصفوف سبب في اختلاف القلوب.

فلماذا يقول القائل: إنّ تسوية الصفوف والحديث عنها يُفرّق الأمّة!

---

(١) أقيموا؛ أي: عدّلوا وسوّوا؛ كما في «الفتح».

(٢) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٦١٦) وغيره، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٥١٢).

وجاء في «فيض القدير»: «قال الطيبي: الوجه: أنّ المراد باختلاف الوجوه؛ اختلاف الكلمة وتهييج الفتن، ولعله أراد الفتن التي وقعت بين الصحابة».

(٣) أخرجه البخاري: ٧١٧، ومسلم: ٤٣٦.

أهُمْ في ريب من هذا؟! فلقد أقسَم لهم رسول الله ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق ـ؛ فهل ترى لهم من تصديق؟

ولقد صرّح ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمؤكدات كثيرة في هذا النص وغيره؛ منها اللام، ونون التوكيد الثقيلة في الكلمتين: (تقيم) و (يخالف)، ثمّ عطف التوكيد على التوكيد، ولكنهم يمرّون عنها مُعرضين.

كيف يجتهدون في موارد النصوص؟!

وليت الأمر يقف عند هذا فحسب؛ بل إنّ اجتهادهم يغاير الفهم الصحيح الصريح، فإنَّ أدنى الناس معرفة بالفقه والعربية، لو قرأ أحاديث تسوية الصفوف؛ لفهم أنّ عدم تراصّ الصفوف وإقامتها؛ يؤدي إلى اختلاف القلوب وتفرُّقها.

فمن أين جاءهم ذلك الاجتهاد ـ وهم ينهون عنه وينأون ـ الذي يأمرهم بترك الحديث عن تسوية الصفوف لتأتلف القلوب؟

لم يكن الاختلاف غائباً عن بال النّبيّ ﷺ ـ وما ينبغي له ـ بل لقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أسبق منا معرفةً

وعلماً به. ﴿إِنْ هو إلا وحي يوحى﴾[1].

ولقد ذكَر الرسول ﷺ الاختلاف في كثير من النصوص، وبألفاظ متعددة، منها: «فتختلف قلوبكم»، «أو ليخالفنّ الله بين قلوبكم»، «أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم[2]»[3].

ومع عِلمه ﷺ بالاختلاف وأسبابه وكراهيته له؛ لم يضرب صفحاً عن الأمر بتسوية الصفوف، كي يريح المسلمين من الجدال والنزاع فيه، ثمّ ليُحفظوا من تفرّق القلوب نتيجة المخالفة!

كلُّ ذلك لم يَثْنِه عن الأمر بذلك، ولم يصدّه البتةَ، وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ أدرى منّا بمصلحة الأمّة، وأفهم منّا بالمهمّ والأهمّ، ولكنّه ظلّ يُحذِّر من الاختلاف الناتج عن عدم التسوية، بما يؤكد أنّه لا محيص من تسوية الصفوف،

---

(١) النجم: ٤.

(٢) جاء في «النهاية»: «..يريد أن كلاً منهم يُصرَف وجهه عن الآخر، ويوقع بينهم التباغض؛ فإنّ إقبال الوجه على الوجه من أثر المودّة والأُلفة».

(٣) أخرجه البخاري: ٧١٧، ومسلم: ٤٣٦، وتقدّم.

ولا مفرّ من إقامتها، ولا مهرب من الحديث عنها.

أمّا من يرى أنّ الحل الصحيح لا يكون إلا بغضّ الطرف عن تسوية الصفوف، وأخواتها من الموضوعات، ثمّ التحدّث عن قتال الأعداء، ومحاربة هجماتهم الشرسة على اختلاف أنواعها - وما نحن لها بمُهَوِّنين -؛ فهذا شأنه كمن رأى أن الصلاة أهم من الصيام وغير ذلك، فأنكر عمّن يتحدث عن أهمية الصيام، وتحريم التعامل بالرّبا، بِحجّة أنّ الناس قد أضاعوا الصلوات، وفرَّطوا فيها!!

وهذا مخطىء بالتأكيد، فالواجبات كثيرة ومتعددة ومتنوعة، والمسلم مُطالَب بأداء ما استطاع منها، ولا يحلّ لنا أن نضرب بعضها ببعض، فتصحيح العقيدة واجب والجهاد في سبيل الله واجب، والدعوة إليه واجبة، والتيقّظ لمخطّطات الأعداء واجب، ومحاربة الغيبة والنميمة واجبة، وبِرّ الوالدين واجب، وتسوية الصفوف واجبة.

وكيف نجاهد ونصدّ ونذبّ عن الدين، ونحن متفرّقون متنازعون؟!

وها نحن نرى النزاع والشقاق قد غزا الأمّة؛ حتّى إخوانَنا

المجاهدين ـ مع قلتهم وندرتهم ـ! نعم؛ إنّهم متفرّقون مختلفون، فواحرّ قلباه، ثمّ واحرّ قلباه!!

ولا تنسَ أنّ الشياطين التي تُحرّك أصحاب المذاهب الهدّامة؛ هي الشياطين ـ أو من صنفها ـ التي تعيش في الفُرُجات، وتقوم في الخلل بين صفوف المسلمين، حتّى تُخالف بين القلوب، وتُباعد بينها، لِتظل على غير الوفاق، ولئلا تقدر على تحطيم أصحاب المذاهب العَفِنة، والعقائد الزائفة، ذلك لأنّ الشياطين تعلمُ أنّ في تسوية الصفوف تآلفَ القلوب والوجوه، وإذا ما حصل التآلف والحبُّ بين المسلمين؛ كان ما يقهر شياطين الإنس والجنّ، وهذا ما يحسبون حسابه، ويخشون وقوعه.

عدم تسوية الصفوف يؤدي إلى هلاك الأمّة:

اتضحّ لنا من خلال حديث النّبيّ ﷺ ـ بما لا يدَعُ مجالاً للشك ـ أنّ عدم تسوية الصفوف يؤدي إلى الاختلاف، والذي يقود إلى الفشل والهلاك وذَهاب الريح والقوة، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا**

وتذهبَ ريحكم[1] ﴾[2]، ويقول رسول الله ﷺ: «لا تختلفوا؛ فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»[3].

ومن خلال الجمع بين النصوص؛ يكون المعنى: «استووا ولا تختلفوا؛ فتهلكوا وتفشلوا وتذهب ريحكم».

أوَ أكثرَ من هذا الهلاك نريد؟! أم أشدَّ من هذا الفشل ننتظر؟! فها نحن وقد تداعت علينا الأمم؛ كما تداعت الأكَلَة على قصعتها، وها هي بلادنا تُحتل، والأعداء يطمعون فيما بقي، وغَدونا لا حول لنا ولا قوة بين الأمم، لا يُسمع لنا صوتٌ إلا في الشكوى والأنين وطلب الإنصاف، وكفّ الزحف والهجوم عنّا، وأصبحنا شِيَعاً وأحزاباً ﴿**كل حزبٍ بما لديهم فَرحون**﴾[4].

لقد تفرّقت القلوب، وتعطّل الجهاد، وكأنّه لم يبق لنا

---

(١) أي: قوّتكم وحدّتكم وما كنتم فيه من الإقبال. «تفسير ابن كثير».

(٢) الأنفال: ٤٦.

(٣) أخرجه البخاري: ٢٤١٠.

(٤) المؤمنون: ٥٣.

منه إلا الكلام عنه، فحتّامَ نظل هكذا في الفُرقة والاختلاف والضياع؟! أما آن لقلوبنا أن تخشع لذكر الله وتعاليم ديننا؟! أما آن لكم ـ يا صفوة الناس وأحاسنهم !ـ أن تأتلفوا وتتحابوا؟!

فهيّا بنا نُقبل على تسوية الصفوف.

قُدُماً لنؤلّف بين القلوب ـ بإذن الله تعالى ـ؛ فما أشد خطر الألفة على شياطين الجنّ والإنس.

ما ورَد في مخالفة الوجوه:

عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لتُسوُّنَّ صفوفكم؛ أو ليخالفَنّ الله بين وجوهكم»[1].

قال النووي ـ رحمه الله ـ في «شرح مسلم»: «معناه: يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب، كما تقول: تغَّير وجه فُلان عليّ؛ أي: ظهر لي من وجهه كراهة لي، وتغيّر قلبه عليّ، لأنّ مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن».

قلت: وكذلك كان، فأنت ترى العداوة والبغضاء،

---

(١) أخرجه البخاري: ٧١٧، ومسلم: ٤٣٦، وتقدّم.

وظهور الكراهية في الوجوه، واختلاف الظواهر والبواطن، وإذا ما جاء أحدهم يلصق مَنكِبه بمنكب صاحبه أو قدمه بقدمه؛ أعرض ونأى بجانبه، وظهرت الكراهية في وجهه؛ لأنّه يرى أنه قد أزعجه وضايقه.

وكذلك الحريص على تسوية الصفوف؛ فإنه قد تغيّر عليه الوجه، وأخذ قلبه في كراهية من لم يستجب لأوامر النّبيّ ﷺ، وهو في بُغضه هذا مأجور غير مأزور، لا سيّما وقد ذكَّر وذكّر، ولكن لا حياة لمن ينادي، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «من أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل [1] الإيمان» [2].

---

(١) وهذا من الأحاديث التي تنقض الإرجاء، وتُبيّن زيادة الإيمان بالطاعة ونقصانه بالمعصية، وأنّ الإيمان يتضرّر بعدم قيام العبد بالأعمال الظاهرة والباطنة، وأنّ استكمال الإيمان لا يكون إلا بهذا.

أمّا ادّعاء استكمال الإيمان بمجرّد المعرفة أو قول اللسان دون القلب، أو اعتقاد القلب وقول اللسان وإخراج العمل عن مسمّى الإيمان؛ فهذا كله من ضلالات المرجئة وبدعهم العقدية المنكَرة.

(٢) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٣٩١٥)، وانظر «الصحيحة» (٣٨٠).

وثبت أنّ رجلاً جاء إلى ابن عمر - رضي الله عنهما - فقال: «إنّي أحبّك في الله، قال: فاشهد عليّ أنّي أبغضك في الله!

قال: ولِمَ؟! قال: لأنّك تُلَحِّن في أذانك، وتأخذ عليه أجراً»[1].

والنتيجة المؤلمة هي الاختلاف ونقصان المحبة، ثمّ ينادي من ينادي للمحبة والألفة، ولكن الاختلاف ماضٍ فينا؛ ما دمنا تنكّبْنا هدْي النّبيّ ﷺ، ولن تعود الألفة ويرجع الإخاء؛ إلا أن نؤوب إلى ربنا - تعالى - ونطيع أوامر رسوله ﷺ.

رؤية النّبيّ ﷺ صفوفَ المصلين من وراء ظهره[2]:

عن أنس - رضي الله عنه - قال: «أقيمت الصلاة، فأقبَل علينا رسول الله ﷺ بوجهه، فقال: أقيموا صفوفكم وتراصّوا؛ فإنّي أراكم من وراء ظهري»[3].

أفحسبتم أن رؤية النّبيّ ﷺ للصفوف من وراء ظهره

---

(١) انظر «الصحيحة» تحت الحديث (٤٢).

(٣) هذه من خصوصيات النّبيّ ﷺ في الصلاة دون غيرها.

(٣) أخرجه البخاري: ٧١٩.

من العبث؟ حاشا لله تعالى؛ فإنّ فيها الإكرام والإنعام للأمّة؛ حتى تُحْسن تسوية صفوفها، فتأتلف القلوب ولا تختلف؛ لأنّه ﷺ يراهم من وراء ظهره؛ كما يرى من أمامه، والنفس البشرية تزيد الاهتمام والإتقان - مع المراقبة والمتابعة - ما لا تفعله في سوى ذلك.

ما جاء في البنيان المرصوص:

قال الله تعالى: ﴿ **إن الله يحبُّ الذين يقاتِلون في سبيله صفّاً كأنهم بُنيانٌ مرصوص** ﴾[1].

جاء في «تفسير ابن كثير» - رحمه الله تعالى -: «قال قتادة: ألم ترَ إلى صاحب البنيان كيف لا يُحبُّ أن يختلف بُنيانه؟! فكذلك الله - عزّ وجلّ - لا يحب أن يختلف أمره، وإنّ الله صفَّ المؤمنين في قتالهم، وصفّهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله؛ فإنّه عصمةٌ لمن أخَذ به».

بيّن الله - تبارك وتعالى - أنّه يحبّ الذين يُقاتلون في سبيله صفّاً؛ يلتصق بعضهم ببعض، ويتضامّون ويتراصوّن، شأنهم شأن البنيان المرصوص؛ كما في الحديث: «المؤمن

---

(١) الصف: ٤.

للمؤمن كالبنيان، يشدّ بعضه بعضاً»[1].

وتأمّل قول قتادة ـ رحمه الله ـ: «وإنّ الله صفّ المؤمنين في قتالهم، وصفّهم في صلاتهم».

فقد عطف صفّهم في الصلاة، على صفّهم في القتال، فذكر البُنيان المرصوص في القتال والصلاة.

كم نعتني بالبنيان والسقف والجدران، نحرص على المقادير الجيدة من الموادّ القوية المحسّنة، ونبحث عن المُشرفين والعاملين الأقوياء الأمناء، ونُنْفِق في ذلك الأموال الكثيرة، ونَحْذَر من أقلّ خللٍ فيه؛ لِما فيه من الخطر على حياة أمّهاتنا وآبائنا وأبنائنا وأهلينا، ونهتمّ ببنيانها وجمالها، بل نبالغ في ذلك ونغلو؛ فَلِمَ لا نهتمّ ببنيان الإيمان ... ببنيان المجتمع المسلم ... ببنيان الجماعة المسلمة؟!

وهل ترضى عن وجود مِثل هذا الخلل الذي أحدثْته في صفّ المسلمين؛ أن يكون في بيتك!

لا والله؛ إنك لا ترضى أدنى منه... إنك تخشى تسرُّب

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٤٤٦، ومسلم: ٢٥٨٥ زاد البخاري ـ رحمه الله ـ: «ثمّ شبّك بين أصابعه».

الماء والبرودة والهواء والحشرات ... فكيف تخشى ما يفسد دنياك ولا تخشى ما يفسد آخرتك؟!

إذا علمْتَ هذا ـ يرحمك الله ـ؛ فقد سهل عليك أن تعرف قوله ﷺ: «خِيارُكم ألينكم مناكبَ في الصلاة»[1].

وذلك أن ليِّن المنكِب مُطيع ربّه ـ سبحانه ـ، مطيع رسوله ﷺ، وما فعل هذا؛ إلا عن علم ومعرفة، لا عن خبط عشواءَ، ولا بُد أن يكون مألفة، «ولا خير فيمن لا يَألف ولا يُؤلف»[2]، ولا بُدّ أن يكون قد سمع كلام النّبيّ ﷺ في رصّ الصفوف وتسويتها، وما يترتّبُ على ذلك من اختلاف القلوب، فهو تقيّ وَرِعٌ، يخشى الفُرقة والنّزاع، ويُحب الجماعة والاتّفاق، ليّن القلب والفؤاد؛ إذ لينُ المنكب، ما أتى إلاّ مِن المضغة الآمرة الناهية في الجسد كُلّه، والتي قال

---

(١) أخرجه أبو داود «صحيح أبي داود» (٦٢٤)، وهو صحيح لغيره كما في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» وغيره، وانظر «الصحيحة» (٤٢٦).

فيها النبيّ ﷺ: « .. ألا وإنّ في الجسد مضغة[1]، إذا صَلَحت صَلُح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب»[2].

وإنّما جاءت خيريّة منكبه من خيريّة قلبه؛ إذ أن قلبه هو الذي أوعز بالأوامر لمنكِبه وقدمه وركبته وكعبه؛ أن تلصق بمنكب وقدم وركبة وكعب صاحبه في الصلاة.

جاء في «بذل المجهود» (٤ /٣٣٨): «معناه[3]: أنّه إذا كان في الصفّ وأمَره أحد بالاستواء، ويضع يده على مَنكبه؛ ينقاد ولا يتكبّر، فالمعنى أسرعكم انقياداً. قال الخطَّابي: معناه: لزوم السكينة والطمأنينة بحيث لا يلتفت، ولا يجاوز مَنكِبه مَنكِب من بجنبه، ولا يمنع من أراد دخولاً في صفٍّ لسدّ فرجة، أو لضيق مكان، بل يُمكّنه من ذلك، ولا يدفعه بمَنكِبه».

قلت: فهذا يُرتجى منه أن يكون أشدّ الناس طاعة لقائده

---

(١) المُضغة: هي القطعة من اللحم، قدْر ما يمضغ. «النهاية».

(٢) أخرجه البخاري: ٥٢، ومسلم: ١٥٩٩.

(٣) أي: حديث «خِياركم ألينكم مناكب في الصلاة».

المسلم حين يأمره وهو في ساحة الجهاد أن يصدّ أو يهجم.

وأمّا ذاك الذي إذا قرّب أحدهم مَنكِبه من مَنكِبه، أو قدمه من قدمه، ينفر كأنّه بغل شموس[1]، فكيف تأمن عليه ألا يفرّ عند هجوم الأعداء؟!

وذلك الذي يقول لأهل العلم: «إنّ تسوية الصفوف قشور ومظاهر وتفاهات»، يتضايق ممن يلصق به، يريد مزيداً من الراحة والتوسّع، ذو صدر ضيّق حرج؛ كأنما يصعّد في السماء، يصعب التفاهم معه، يُؤوّل أحاديث النّبيّ ﷺ، ويَفرّ من العمل بها؛ فكيف لا يؤوّل هذا كلامَ القائد في المعركة، ويخرج عن طاعته؟! بل إنّه لذلك أشد تأويلاً، وأكثر فراراً، والذي يُملي عليه بالفتوى هواه، عافانا الله من الخِذلان.

ولكنّ ليِّني المناكب يُدركون معنى: «إنّا لله وإنا إليه راجعون»؛ فيعلمون أن مناكبهم ورُكبهم وأبدانهم، كلّها لله - سبحانه وتعالى - فيقومون بما أمرهم به رسول الله ﷺ من التراصّ في أي جزء من أجزاء الجسم، دون حرج في النفس،

---

(١) إشارة إلى قول أنس - رضي الله عنه -؛ وسيأتي في قابل الحديث - إن شاء الله تعالى -.

ومن غير أن يطيل ترحال الخاطر في الفرار من الطاعة.

تسوية الصف وإقامته من تمام الصلاة وحُسنها:

عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «سوُّوا صفوفكم؛ فإنّ تسوية الصفّ من تمام الصلاة»[1].

وفي رواية: «فإنّ تسوية الصفوف من إقامة الصلاة»[2].

وفي رواية: «فإنّ إقامة الصفّ من حُسن الصلاة»[3].

الترغيب في وصْل الصفوف والتخويف من قطْعها:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدّوا الخلل[4]، ولينوا[5] بأيدي إخوانكم، ولا تذروا فُرُجات

---

(١) أخرجه مسلم: ٤٣٣.

(٢) أخرجه البخاري: ٧٢٣.

(٣) أخرجه البخاري: ٧٢٢، ومسلم: ٤٣٥.

(٤) الخَلل: ما يكون بين الاثنين من اتساع عند عدم التراصّ. قاله المنذري - رحمه الله - في «الترغيب والترهيب».

(٥) أي: إذا وضع اليد عليكم للتقدم والتأخّر؛ فلِينوا له، وانقادوا ولا تستنكفوا منه. «بذل المجهود» (٤ / ٣٣٣).

للشيطان. ومن وصَل صفّاً[1]؛ وصَله الله[2]، ومن قطع صفّاً[3]؛ قطعه الله»[4].

وفي الحديث: «وما من خطوة أحبّ إلى الله؛ من خطوة يمشيها العبد، يصل بها صفّاً»[5].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله ـ تعالى ـ وملائكته يصلُّون على الذين يَصِلون الصفوف، ومن سَدَّ فرجة؛ رفَعه الله بها درجة»[6].

---

(١) بوقوفه فيه، وسدّ فرجة منه.

(٢) برحمته ورفْع درجته. «فيض القدير».

(٣) بأن كان فيه فخرج منه لغير حاجة، أو جاء إلى صف، وترك بينه وبين مَن بالصف فرجة بلا حاجة. «فيض القدير» (٢ / ٧٥).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٦٢٠)، والنسائي «صحيح سنن النسائي» (٧٨٩)، وصحّحه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٩٥).

(٥) أخرجه أبو داود، وهو صحيح لغيره، كما في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٠٧).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٨١٤).

تخلُّل الشياطين بين الصفوف:

عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «رُصّوا صُفوفكم، وقاربوا بينها، وحاذُوا بالأعناق؛ فوالذي نفسي بيده؛ إِني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصّف؛ كأنها الحذَف[1]»[2].

فلنتأمّل هذه النصوص، ثمّ لنسأل أنفسنا: من الذي يتخلل الفرجات؟

والجواب في قوله ﷺ: «ولا تذروا فُرجات للشيطان».

ومن هو الشيطان؟ تعرَّفْهُ من قوله تعالى: ﴿ **إِنّ الشيطان لكم عدُوٌّ فاتّخِذوه عدوّاً** ﴾[3].

ولا يغيب عن بال المسلم أنّ المساجد أحبّ البقاع

---

(١) الحَذَف: هي الغَنم الصغار الحجازية. وقيل: هي صغار جُرد، ليس لها أذان ولا أَذناب. «النهاية».

(٢) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٦٢١)، والنسائي، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٩٤).

(٣) فاطر: ٦.

إلى الله تعالى؛ لقوله ﷺ: «أحبُّ البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»[1].

والصلاة من أفضل الأعمال إلى الله تعالى، فكيف بك في أحب البقاع والأوقات[2] والأعمال؛ تبتعد عن إخوانك، وتقترب من الشياطين، تُقصي إخوانك، وتُدْني أعداءك؟!

كيف بك تستضيف الشياطين في بيوت الأتقياء المؤمنين[3]؟!

لقد حذّر النّبيّ ﷺ من ترك الفرجات؛ لأنّ الشياطين تسارع إليها كأولاد الضأن الصغار.

بل إنّه أقسَم بالله ـ تعالى ـ الذي بيده نفسه الكريمة الطاهرة على ذلك ـ وإنّه لقَسَمٌ لو تعلمون عظيمٌ ـ ففيه من

---

(١) أخرجه مسلم: ٦٧١.

(٢) إشارة إلى حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «سألت رسول الله ﷺ أيّ العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها ...» أخرجه البخاري: ٥٢٧، ومسلم: ٨٥.

(٣) إشارة لقوله ﷺ: «المسجد بيت كل تقيّ»: أخرجه الطبراني في «الكبير» وغيره، وحسّنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (٧١٦).

معاني عبودية وتذلّل الرّسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الشيء الكثير لله تعالى، إذ إنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ يعلم حقّ العلم ما يترتّب على كون نفسه بيد الله الخالق البارىء العزيز الجبار المتكبر ـ سبحانه وتعالى ـ.

وبعد هذا القسم ـ وهو أعلى أساليب التوكيد ـ جاء ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمؤكدّات أخرى، وهي حرف التوكيد إنّ ثمّ (اللام) في: «لأرى»، ثمّ بلّغ لنا ما رآه مصوّراً مشبّهاً بمحسوس ملموس.

وهذا كُلّه من مُعايِن، و «ليس الخبر كالمعايَنة»[1] وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ يرى ما لا نرى ـ كما قال في غير هذه المناسبة ـ: «إنّي أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون»[2].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «المشكاة» (٥٧٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (١٨٨٢)، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٧٨)، وحسّنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٨٠).

فكيف بعد هذا ارتضينا الشياطين، وأبَيْنا المؤمنين؟ إِذا اقترب الأخ المسلم منّا ابتعدنا ونفرنا، وإِذا اقترب منّا الشيطان الرجيم فَرِحنا!

أجر من سدّ الفُرُجات:

من أجل ذلك وغيره؛ رفَع الله درجة لمن سدّ فرجةً، وبنى له بيتاً في الجنة، وذلك لما روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من سدّ فرجة؛ رفعه الله بها درجة، وبنى له بيتاً في الجنة»[1].

وعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خِيارُكم ألينكم مناكبَ في الصلاة، وما من خطوة أعظم أجراً؛ من خطوة مشاها رجل إِلى فرجة في الصف فسدّها»[2].

---

(١) أخرجه المحاملي في «الأمالي»، وأحمد، وابن ماجه دون قوله: «بنى له بيتاً في الجنة»، وانظر «الصحيحة» (١٨٩٢)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٠٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وانظر «الصحيحة» (٢٥٣٣)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٠٤).

الردّ على من يستغرب تخلّل الشياطين بين الفُرُجات:

يعجبُ بعض الناس عندما يسمع تخلّل الشيطان بين الفرجات، ويا عجباً من عجبه! إذ لو استغرب هذا غير المسلم لهان الأمر، وأمّا أن يصدر هذا من مسلم فلا يُقبل؛ لأنّ الإيمان بما أخبر عنه الصادق المصدوق؛ من ثمرة الإيمان بنبوة ورسالة محمد ﷺ! ومن ذلك:

ما رواه أبو سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تثاءب أحدكم؛ فليضع يده على فيه؛ فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب»[1].

ومن ذلك قوله ﷺ: «لا تقل: تَعِس الشيطان؛ فإنّه يعظم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوّتي صرعته، ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلتَ ذلك؛ تصاغر حتى يصير مثل الذباب»[2].

---

(١) أخرجه البخاري: ٣٢٨٩، ومسلم: ٢٩٩٥، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٤١٦٨)، وغيرهما.

فها نحن قد سمعنا من النّبيّ ﷺ أن الشيطان يدخل مع التثاؤب عن طريق الفم، ومرّة يعظُم حتى يصير مثل البيت، وأخرى يتصاغر حتى يكون مثل الذباب، وهو يدخل في الفُرجات.

وحذار أن يتطرّق الشكُّ إلى نفسك! فهذا ينبىء عن فسادٍ في القلب، وعدم التسليم لأوامر الشرع الحنيف.

من الأدلّة على وجوب تسوية الصفوف:

وأمّا الأدلة على وجوب تسوية الصفوف؛ فكثيرة، ومنها:

١ـ أفعال كثيرة في النصوص، وردَت بصيغة الأمر، ومنها:

«أحسِنوا إقامة الصفوف»[١].

«سوّوا صفوفكم»[٢].

«أقيموا صفوفكم»[٣].

«رُصّوا صفوفكم، وقارِبوا بينها»[٤].

(١ ـ ٤) تقدّم تخريجها.

« حاذوا بالأعناق »[1].

« تراصّوا »[2].

« استووا »[3].

« حاذوا بين المناكب »[4].

« سُدّوا الخلل »[5].

٢ـ أفعال اقترنَت بـ(لام الأمر) :

« لتقيمُنّ صفوفكم، أو ليخالفِنّ الله بين قلوبكم »[6].

« لتسوُّنّ صفوفكم، أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم »[7].

٣ـ ورود (لا الناهية) في بعض الأحاديث، والنهي يفيد التحريم إلا لقرينة تصرفه ـ كما تقدّم ـ والقرائن جاءت مؤكدة لا صارفة.

وإليك بعض الأمثلة على (لا الناهية) :

« لا تذروا فُرجات للشيطان »[8].

« لا تختلفوا؛ فتختلفَ قلوبكم »[9].

(١ ـ ٩) تقدّم تخريجها.

«لا تختلفْ صدوركم؛ فتختلفَ قلوبكم»[1].

«لا تختلفْ صفوفكم؛ فتختلفَ قلوبكم»[2].

٤ـ ما يقع من عدم تسوية الصفوف من مخالفة القلوب والوجوه كما تقدّم.

٥ـ قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إِياي والفُرَج»؛ يعني: في الصلاة[3].

٦ـ إِنكار أنس ـ رضي الله عنه ـ عدم إِقامة الصفوف؛ كما روى عنه بُشَيْرُ بن يَسَارٍ الأنصاري:

«أنه قَدِمَ[4] المدينة، فقيل له: ما أنكرتَ منا منذ يوم عهدتَ رسول الله ﷺ؟ قال: ما أنكرتُ شيئاً إِلا أنكم لا

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه»، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥١٣).

(٢) أخرجه ابن خزيمة وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥١٣).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير»، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (١٧٥٧).

(٤) أي: أنس ـ رضي الله عنه ـ.

تقيمون الصفوف »[1].

٧ـ التهديد بالقطيعة من الله تعالى لمن يقطع الصفوف، كما في الحديث: « من وصَل صفاً وصله الله، ومن قطَع صفاً؛ قطعه الله »[2].

والتهديد بالقطع والقطيعة لا يكون لتاركِ مستحبّ.

٨ـ ضرْب عمر وبلال ـ رضي الله عنهما ـ أقدام من لم يُسوّوا الصفوف، كما سيأتي[3] ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وبه استدل ابن حزم على الوجوب، كما في « الفتح ».

٩ـ وصْف أنس ـ رضي الله عنه ـ لمن لم يُسوّ الصف، بأنّه بغل شَموس[4].

---

(١) أخرجه البخاري: ١٧٢٤.

ومن هذا الحديث أخَذ الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بالوجوب؛ كما أشار إلى ذلك الحافظ في « الفتح ».

(٢) تقدّم.

(٣) انظر « نداء إلى الأئمة والخطباء والوُعّاظ ».

(٤) سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

علماء قالوا بوجوب تسوية الصفوف :

١ـ الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ وقوله في أحد الأبواب من « صحيحه » : (إثم من لم يتمّ الصفوف) .

٢ـ الإمام ابن خزيمة ـ رحمه الله تعالى ـ؛ كما هو ظاهر من العناوين التي صدّرها في « صحيحه »؛ وهي :

(باب الأمر بتسوية الصفوف قبل تكبير الإمام)[١] .

(باب الأمر بإتمام الصفوف الأولى)[٢] .

(باب الأمر بالمحاذاة بين المناكب والأعناق)[٣] .

(باب الأمر بسدّ الفُرج)[٤] .

(باب التغليظ في ترك تسوية الصفوف تخوُّفاً لمخالفة الربّ ـ عزّ وجلّ ـ بين القلوب)[٥] .

٣ـ الإمام ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ ؛ قال في « المحلّى » (٤ / ٧٥) : (تسوية الصف إذا كان من إقامة الصلاة؛ فهو فرض؛ لأنّ إقامة الصلاة فرض؛ وما كان من الفرض فهو

(١ ـ ٥) انظر (٣ / ٢٠ ـ ٢٤) منه .

فرض) .

٤ـ الحافظ المنذري ـ رحمه الله تعالى ـ كما هو ظاهر من قوله في « الترغيب والترهيب » : (الترهيب من تأخُّر الرجال إلى أواخر صفوفهم، وتقدُّم النّساء إلى أوائل صفوفهن، ومن اعوجاج الصفوف) .

٥ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ؛ فقد قال في « مجموع الفتاوى » (٢٣ / ٣٩٤) : « ولو لم يكن الاصطفاف واجباً؛ لجاز أن يقف واحد خلف واحد، وهلمّ جرّاً . . . » .

٦ـ الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في مواطن وتعليقات في الباب السابق فقد قال : « ومع القول بأن التسوية واجبة؛ فصلاة من خالف ـ ولم يُسوّ ـ صحيحة » .

٧ـ الإمام الصنعاني؛ قال ـ رحمه الله تعالى ـ في « سُبل السلام » ـ بعد ذكر عدّة أحاديث في الباب ـ: « وهذه الأحاديث والوعيد الذي فيها؛ دالّة على وجوب ذلك، وهو ممّا تساهل فيه الناس . . . » .

٨ـ الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ وقد صرّح بذلك في

كتابه « نيل الأوطار » في باب (الحث على تسوية الصفوف ورصّها وسدّ خلَلِها)؛ قائلاً « قوله : « سوّوا صفوفكم » . فيه أنّ تسوية الصفوف واجبة .

٩ـ شيخنا الإِمام الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ كما صرّح بذلك في كتابه « سلسلة الأحاديث الصحيحة »[١] .

كيف نُسوِّي صفوفنا ؟

يبيّن لنا أنس ـ رضي الله عنه ـ كيف كانت تسوية الصفوف في عهد النّبيّ ﷺ فيقول : « وكان أحدُنا يُلْزِقُ مَنكِبه بمَنكِب صاحبه، وقدمه بقدمه »[٢] .

وفي رواية : « فلقد رأيت أحدنا يُلْصِقُ مَنكِبه بمَنكِب صاحبه، وقدمه بقدمه، فلو ذهبت تفعَل هذا اليوم؛ لنفرَ أحدكم كأنّه بَغْل شَمُوس »[٣] .

وفي قول للنعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ: « فرأيت

---

(١) انظر ما كتبه ـ رحمه الله ـ تحت الحديث (٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري : ٧٢٥ .

(٣) انظر رقم (٣١) منه .

الرّجل يلزق مَنكبه بمَنكِب صاحبه، وركبته بركبة صاحبه، وكعبه بكعبه»[1].

ولا بُدّ أن نحاذيَ بين المناكب والأعناق؛ لقوله ﷺ: «وحاذوا بالأعناق[2]»، وقوله - عليه الصلاة والسلام -: «وحاذوا بين المناكب»[3].

ويُفهم مما سبق؛ أنّ تسوية الصفوف وتراصّها تعني:

١- إلصْاق مَنكِب المرء بمنَكب صاحبه، وقدمه بقدمه، وركبته بركبته، وكعبه بكعبه.

٢- مراعاة المحاذاة بين المناكب والأعناق والصدور، بحيث لا يتقدّم عُنق على عُنق، ولا مَنكِب على مَنكِب، ولا صدْر على صدْر.

وأمّا من وسّع ما بين قدميه؛ فقد منَع التصاق مَنكب صاحبه بمنكِبه، وركبته بركبته، وكعبه بكعبه، فيَحسُن بك

---

(١) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٦١٦) وغيره، وعلّقه البخاري في «كتاب الأذان» (باب - ٧٦)، وانظر «الصحيحة» (٣٢).

(٢، ٣) تقدّم تخريجهما.

أن تلتفت لموقع الإمام، فترصّ من تلك الجهة قدمك بقدم صاحبك، وكعبك بكعبه، وركبتك بركبته، ومَنكبك بمَنكبه، ثمّ تنتظر مِنْ صاحبك من الجهة الأخرى؛ أن يفعل ما فعلت مع صاحبك بالجنب، وتدعوَه للاقتراب إذا ابتعد.

أمّا أن تمدَّ رجلك لتدركه؛ فهذا يسبب عدم التصاق المنكبين والكعبين والركبتين من الجهة الأخرى، ولا يبقى التصاق القدمين، وهذا غير كافٍ.

واحذر أن تُشكِّل قدماك رقم (٧ سبعة)؛ لأنّ هذا يمنع إلصاق كعبك بكعب صاحبك، وأيّ علّة في عدم تحقيق التراصّ المطلوب؛ فإنّ الخطأ يعود إلى توسيع فتحة القدمين، فتنبّه!

تراصّ الجماعة المكوّنة من إمام ومأموم واحد:

من المشتهر عند الكثير من النّاس: أنّه إذا صلّى الرّجلان جماعة؛ فإنّ الإمام يتقدّم عن المأموم قليلاً، وهذا يُنافي التراصّ الوارد في النصوص المتقدّمة.

قال البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في «صحيحه»: (باب

يقوم عن يمين الإمام بحذائه سواءً إذا كانا اثنين)[1]! ثمّ أورد حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: « بتُّ في بيت خالتي ميمونة، فصلّى رسول الله ﷺ العشاء، ثمّ جاء فصلّى أربع ركعات، ثمّ نام، ثمّ قام، فجئت فقمتُ عن يساره، فجعلني عن يمينه[2]، فصلّى خمس ركعات، ثمّ صلّى ركعتين، ثمّ نام، حتى سمعت غطيطه[3] - أو قال: خطيطه[4] - ثمّ خرج إلى الصلاة ».

---

(١) انظر « كتاب الأذان » (باب: ٥٧).

(٢) قال شيخنا الألباني - رحمه الله تعالى - في « مختصر البخاري » (١ / ٤٧): « قلت: يعني بحذائه كما في « المسند »، وقد خرّجته في « الصحيحة » (٦٠٦)، وقال في « المختصر » أيضاً (ص١٨٠): « قلت: إشارة إلى الردّ على من يقول باستحباب تقدُّم الإمام على المأموم قليلاً ... [و] وقف رجل [وراء عمر - رضي الله عنه -]، فقرّبه حتى جعله حذاءه عن يمينه، رواه مالك، وانظر حديث صلاة النّبيّ ﷺ في مرضه بالصحابة، وجلوسه عن يسار أبي بكر حذاءه رقم (٣٦٦) ».

(٣) الغطيط: الصوت الذي يخرج مع نَفَس النّائم، وهو ترْديده حيث لا يجد مساغاً. « النهاية ».

(٤) الخطيط قريب من الغطيط. « النهاية ».

... وعن ابن جريج قال: قلت لعطاء: الرجل يُصلّي مع الرّجل، أين يكون منه؟ قال: إلى شقّه الأيمن. قلت: أيحاذي به حتى يصُفّ معه، لا يفوت أحدهما الآخر؟ قال: نعم، قلت: أتحبّ أن يساويه، حتى لا تكون بينهما فُرجة؛ قال: نعم»[1].

ما جاء في النّهي عن الصلاة بين السواري:

عن عبدالحميد بن محمود قال: «صلّيتُ مع أنس بن مالك يوم الجمعة، فدُفعنا إلى السواري، فتقدّمنا وتأخرنا، فقال أنس: كنا نتقي هذا على عهد رسول الله ﷺ»[2].

وفي رواية لمعاوية بن قُرَّةَ عن أبيه قال: «كنّا نُنهى أن نَصُفّ بين السواري على عهد رسول الله ﷺ، ونُطرَد عنها طرداً»[3].

---

(١) انظر «الفتح» (٢ / ١٩١).

(٢) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٦٢٥)، والنسائي «صحيح سنن النسائي» (٧٩١)، وانظر «الصحيحة» (٣٣٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٨٢١)، وابن =

قال البيهقي: «وهذا - والله أعلم - لأنّ الأسطوانة تحول بينهم وبين وصل الصف»[1].

ولا يخفى على المتأمّل ما تُحدثُه الصلاة بين السواري من قطع الصفوف، وعدم التراصّ والالتصاق.

وتقدّم الحديث: «من وصَل صفّاً وصَله الله، ومن قطَع صفّاً، قطَعه الله».

وقد ورد في الحديث السابق كلمة: «نُطرَد»، وهو ممّا يُشعر بالتحريم، ثمّ إيراد المفعول المطلق «طرداً» ممّا يزيده تأكيداً.

صلاة المنفرد خلف الصف:

عن علي بن شيبان قال: «صلّينا خلفه - يعني: النّبيّ ﷺ - فقضى نبيّ الله ﷺ الصلاة، فرأى رجلاً فرداً يُصلّي خلف الصف، فوقف عليه نبيّ الله ﷺ حتى قضى صلاته،

= خزيمة وابن حبان وغيرهم، وانظر «تمام المنّة» (ص٢٩٦) و«الصحيحة» (٣٣٥).

(١) انظر «الصحيحة» (٣٣٥).

ثمّ قال له: «استقبِل صلاتك؛ فلا صلاة لفرد خلف الصفّ»[1].

وعن وابصة بن معبد: أنّ رسول الله ﷺ رأى رجلاً صلّى خلف الصفّ وحده، فأمَره أن يُعيد الصلاة»[2].

وأمّا من يجذب إليه رجلاً من الصفّ؛ فلا يصحّ فِعْله، وهذا من مساوىء التعامل مع الأحاديث غير الثابتة؛ ومنها:

«إذا انتهى أحدكم إلى الصف وقد تمّ، فلْيجْبِذْ إليه رجلاً يقيمه إلى جنبه»[3].

ومنها ما رُوي عن وابصة بن معبد ـ رضي الله عنه ـ: «أنّ رجلاً صلّى خلف الصف وحده، فقال له النّبيّ ﷺ: ألا دَخلْتَ في الصفّ، أو جذَبْتَ رجلاً صلّى معك؟! أعدِ

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٦٩)، وانظر «الإرواء» (٥٤١).

(٢) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٦٣٣) وغيره، وانظر «الإرواء» (٥٤١).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط»؛ وقد ضعفه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الضعيفة» (٩٢١).

الصلاة»[1].

قال شيخنا ـ رحمه الله ـ تعليقاً عليه: «إذا ثبت ضعف الحديث؛ فلا يصحّ حينئذ القول بمشروعيّة جذب الرّجل من الصفّ ليصفّ معه؛ لأنّه تشريع بدون نصّ صحيح؛ وهذا لا يجوز، بل الواجب أن ينضمّ إلى الصف إذا أمكَن؛ وإلاّ صلّى وحده، وصلاته صحيحة؛ لأنّه ﴿**لا يكلّف الله نفساً إلا وُسْعها**﴾[2].

وحديث الأمر بالإعادة محمول على ما إذا قصّر في الواجب، وهو الانضمام إلى الصف وسدّ الفُرَج، وأمّا إذا لم يجد فرجة؛ فليس بمقصّر، فلا يعقل أن يحكم على صلاته بالبطلان في هذه الحالة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «من قول العلماء: إنّه لا تصحّ صلاة المنفرد خلف الصفّ؛ لأنّ في ذلك حديثين عن النّبيّ ﷺ.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده»، وإسناده ضعيف جدّاً، كما في «الضعيفة» (٩٢٢) لشيخنا ـ رحمه الله ـ.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

وقال أيضاً ـ رحمه الله تعالى ـ: «فإنّ صلاة الجماعة سُمّيت جماعة؛ لاجتماع المصلّين في الفعل مكاناً وزماناً، فإذا أخلّوا بالاجتماع المكاني أو الزماني، مثل أن يتقدّموا أو بعضهم على الإمام، أو يتخلّفوا عنه تخلّفاً كثيراً لغير عذر؛ كان ذلك منهيّاً عنه باتفاق الأئمّة، وكذلك لو كانوا متفرقين غير منتظمين، مِثل أن يكون هذا خلف هذا، وهذا خلف هذا؛ كان هذا من أعظم الأمور المنكَرة، بل قد أُمِروا بالاصطفاف، ولو لم يكن الاصطفاف واجباً؛ لجاز أن يقف واحد خلف واحد، وهلم جرّا، وهذا ممّا يعلم كل أحدٍ عِلماً عامّاً أنّ هذه ليست صلاة المسلمين.

فإذا كان الجمهور لا يصحّحون الصلاة قُدّام الإمام، إمّا مطلقاً، وإمّا لغير عذر، فكيف تصحّ الصلاة بدون الاصطفاف! فقياس الأصول، يقتضي وجوب الاصطفاف، وأنّ صلاة المنفرد لا تصحّ»[1].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٩٣) بحذف.

التوكيل في تسوية الصفوف:

عن عمر - رضي الله عنه - «أنّه قد كان يُوكِّل رجلاً بإقامة الصفوف، ولا يكبّر، حتى يُخبر أن قد استوت الصفوف»[1].

وجاء في «الموطأ»[2]: حدَّثني مالك عن عمّه أبي سهيل ابن مالك عن أبيه أنّه قال: كنت مع عثمان بن عفّان - رضي الله عنه - فقامت الصلاة، وأنا أكلّمه في أن يفرض لي، فلم أزل أكلّمه، وهو يسوّي الحصباء بنعليه، حتى جاءه رجال، قد كان وكّلهم بتسوية الصفوف، فأخبروه أنّ الصفوف قد استوت، فقال لي: استو في الصفّ، ثمّ كبَّر»[3].

---

(١) انظر «المصنف» (٢/ ٤٧) لعبد الرزاق - رحمه الله - (٢٤٣٧، ٢٤٣٩).

(٢) انظر «المنتقى شرح موطأ مالك» (٢/ ٢٨٦) للقاضي أبي الوليد الباجي.

(٣) وهذا أثر صحيح، كما أخبرني بذلك شيخنا الألباني - رحمه الله -.

الرّد على من يقول: «رَصُّ الصفوف يأتي بالوسوسة ويمنع الخشوع»:

إنّ ممّا يعجب له المرء؛ أنّه إذا قام أحدهم يتحدّث عن تسوية الصفوف؛ قال القائل منهم: «إنّه يُودي إلى الوسوسة، والانشغال بالمناكب والأقدام عن الخشوع في الصلاة»!! فأقول: ـ طالباً العون من الله تعالى ـ:

١ـ إنّما يكون الخشوع بذهاب الشياطين، لا بمجيئها، فتسوية الصفوف تُذهبها، وعدمها يَجلبها، وترك إقامة الصفوف هو الذي يأتي بالوساوس والانشغال عن الصلاة.

٢ـ إنّ عدم اتباع أوامر الله ـ تعالى ـ ونبيّه ﷺ سبب في حرمان الهدى والخشوع والطمأنينة، لا العكس.

٣ـ ربّما يقع شيء يسير من الوسوسة في بداية الأمر، وهذا من الشيطان؛ لِيصرفك عن تسوية الصفّ، وذلك لعدم التعوّد، والصعوبات في البدايات معروفة، وسيزول هذا الأمر بالتصميم والمتابعة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

نداء ونصيحة للمصلّين:

وهأنذا أوجّه ندائي لإخواني المصلين: أن يتقوا الله تعالى، وأن يُبادروا إلى تسوية الصفوف، ويستجيبوا للأئمّة، حين يطلبون منهم ذلك، وأن يتواصوا بهذا، وأن يلينوا بأيدي إخوانهم، كما أوصى بذلك رسول الله ﷺ.

وكم يلين الإنسان مِنّا لرئيسه أو مديره في العمل؛ من أجل الدنيا ودراهمها ومتاعها، ولكنّنا لا نملك معهم إلا الطاعة والتنفيذ!

ومن الناس من يطيع مسؤوله في العمل، ولو كان ذلك في معصية الله ـ سبحانه ـ.

إنّه يطيعه ويُلين له القول من أجل رزق العيال! أفلا نلين بأيدي إخواننا في الصلاة؛ لننال رضوان الله ـ تعالى ـ ومحبّته، وليصلُح أمر الأمّة والفرد؟!

صِلوا الصفوف، ألا تحبون أن يصلكم الله ـ تعالى ـ؟! ولا تقطعوها؛ فيقطعكم الله ـ سبحانه ـ.

واعلموا أن الله ـ سبحانه ـ جعَل مصلحة الأمّة بأيديكم:

ائتلافها وقوتها، اختلافها وضعفها، فحيَّ على الائتلاف والقوة، وحَذَارِ من التفرق والضعف، وبادروا إلى تسوية الصفوف ورصّها؛ ففيها الائتلاف والقوة والاتحاد.

عظّموا أوامر الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وانظروا من تعصون! إنها معصية الله العظيم القدير العزيز الجبار المتكبر.

إنّ ربّ العرش العظيم ـ سبحانه ـ يأمرك على لسان رسوله ﷺ؛ أفلا تأتمر؟! وإنّه ـ عزّ وجلّ ـ ينهاك؛ أفلا تنتهي؟!

حَذارِ من الكِبْر؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كِبْر»[1]؛ فإن الكثير من الناس ـ مع الأسف ـ لا يمنعهم من تسوية الصفوف إلاّ الكِبر.

إيّاك أن تكون سبباً في التفريق بين القلوب والوجوه، فترْكُك إقامة الصفوف أعظم سبب في ذلك، وأحسِن إقامة الصف؛ فإنّ إقامة الصف من حُسن الصلاة.

واحذر أن تُسْكِن الشياطين في المساجد، فأنت بهذا تُقصي إخوانك، وتُدني أعداءك، والفرجات مكانهم، فإياك

---

(١) أخرجه مسلم: ٩١.

وإياك . . . واحرص على سدها؛ ليرفع الله ـ عزّ وجلّ ـ درجتك، ويبني لك بيتاً في الجنّة، وسارِع إلى أعظم الخطوات، وأحبّها إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما أخبَرنا بذلك نبيّنا ﷺ.

كن من أفاضل الناس وخِيارهم، فخِيارهم، ألينهم مناكبَ في الصلاة.

نداء للأئمّة والخطباء والوعّاظ والدُّعاة:

إنّني لأوجّه ندائي لإخواني الأفاضل ـ خِيار الناس وأحاسنهم، من الأئمّة والدّعاة والخطباء والوُعّاظ، بل وكل منْ له صِلة بالناس وجموعهم ـ: أن يكثروا من الحديث عن تسوية الصفوف، وبيان أثر ذلك في حياة الأمّة.

كما أوجّه ندائي إلى إخواني الأفاضل ـ الذين لهم الصدارة في إمامة الناس ـ: أن يُشرفوا بأنفسهم على تسوية الصفوف، مُستنِّين بُسنّة النّبيّ ﷺ، مهتدين بهديه، فقد ثبَت عن النّبيّ ﷺ إشرافه على تسوية الصفوف ورصّها، والقيام بذلك بنفسه؛ كما في حديث أبي مسعود ـ رضي

الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا[1] في الصلاة، ويقول: استووا ولا تختلفوا؛ فتختلف قلوبكم»[2].

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ يسوّي صفوفنا، حتى كأنّما يسوّي بها القِداح[3]، حتى رأى أنّا قد عَقَلنا عنه، ثمّ خرج يوماً، فقام حتى كاد يكبّر، فرأى رجلاً بادياً صدرُه من الصف فقال: عباد الله! لتُسوّن صفوفكم، أو ليخالفنّ اللهُ بين وجوهكم»[4].

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ يأتي ناحية الصفّ، ويُسوّي بين صدور القوم

---

(١) أي: يُعَدِّلُنا فيها. «شرح النووي».

(٢) أخرجه مسلم: ٤٣٢.

(٣) القِداح: جمع قِدْح، وهو خشب السهم المبريّ، وذلك قبل أن يُجعل فيه النصل والريش. والمراد: شدّة الاستواء والاعتدال. «بذل المجهود» (٤ / ٣٣٠).

(٤) أخرجه مسلم: ٤٣٦.

ومناكبهم، ويقول: لا تختلفوا؛ فتختلف قلوبكم؛ إنّ الله وملائكته يُصلّون على الصفّ الأول»[1].

وفي رواية: «لا تختلفْ صدوركم؛ فتختلفَ قلوبكم»[2].

ما كان رسول الله ﷺ يقول بلسانه: «استووا»؛ ثمّ يكبر ويترك الخلل والفرجات - كما يفعل إخواننا الأئمّة الآن -!! لقد كان - عليه الصلاة والسلام - يأتي الصفّ من ناحية إلى ناحية، يمسح المناكب والصدور والعواتق.

وصحّ عن عمر - رضي الله عنه -: أنّه ضرب قدم أبي عثمان النهدي لإقامة الصف[3].

---

(١) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٦١٨)، والنسائي «صحيح سنن النسائي» (٧٨١)، وغيرهما، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٩٣).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٥٦)، وصححه شيخنا - رحمه الله - في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥١٣).

(٣) انظر «المصنف» لعبد الرزاق - رحمه الله - (٢/٤٧/٢٤٣٦)، و«الفتح» (٢/٢١٠).

وكان إذا مرّ بين الصفّين قال: استووا، حتى إذا لم يرَ فيهم خَللاً؛ تقدّم فكبّر»[1].

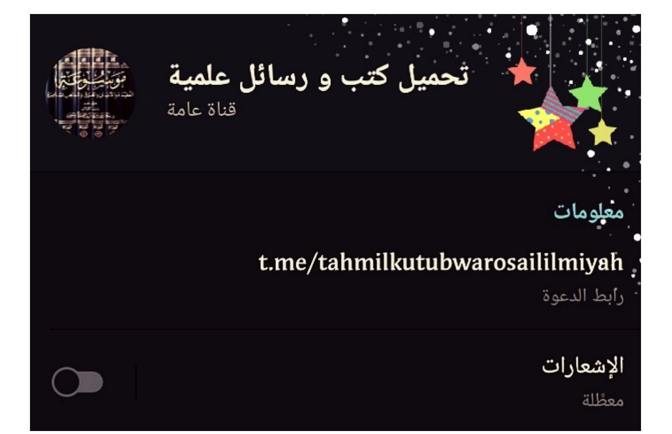
وثبتَ عن سُوَيْد بن غَفَلَة أنه قال: «كان بلال يسوّي مناكبنا، ويضرب أقدامنا في الصلاة»[2].

وقال ابن حزم: «ما كان عمر وبلال يضربان أحداً؛ على ترك غير الواجب»[3].

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري: ٣٧٠٠.

(٢، ٣) أخرجه عبدالرزاق (٢/ ٤٧/ ٢٤٣٥)، وابن أبي شيبة (٣٥٣٤)، وانظر «الفتح» (٢/ ٢١٠).


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفهرس